قرأت العدد الماضي من الآداب

القصائد

بقلم عبد اللطيف شراره

قصائد العدد الماضي من ((الاداب)) تلتقي جميعها – على تنوعهـــا وتعدد مصادرها – عند نقطة واحدة هي ((الثورة على الماضي)) ان في المحتوى ، وان في الشكل ، اذا استثنينا قصيدة سليمان العيسى التـــي تتبع عمود الشعر العربي في اسلوبها البياني ! ولكنها تظل مع ذلك ، في تطلعها الى ((الغد)) الشعري الذي تصوره ، ثورة على الظلمات والظلامات القديمة .

هذه النزعة لدى شعراء العرب المحدثين تشير الى انقـلاب خطر ، عظيم الاهمية ، هي وظيفة الشعر ، ومفهوم الشاعرية . وهذا الانقـلاب الذي حدث رويدا رويدا ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولم تظهـر نتائجه الا في الاونة الاخيرة ، يشير نفسه ايضا الى انقلاب اخطر ، في احساس العرب اجمالا بالكون والحياة والمجتمع والطبيعة .

وجلية الامر ان الشعر كان في نظر العربي ((تعبيرا)) عن حالة ، او ((وصفا)) لموقف نفسي ، ولم يكن لناقد ، ولا لشاعر ، ولا لباحث ، ان يعدو هذه النظرة او يتجاوزها ، ولا كان لاحد ان يفكر فـي ان للشاعـر وظيفة اخرى غير التعبير عن احاسيسه .

أما اليوم فاننا نطالع في هذه القصائد لدى : نقولا قربان ، وصلاح عبد الصبور ، وسليمان العيسى ، وبلند الحيدري ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، وعبد العزيز صفوت ، واحمد عبد المعطي حجازي ، وحسـن فتح الباب ، ورامي لبابيدي – نطالع نزعة الى ((الخلق)) ، الـــى الانشاء ، الى تبديل النفس في مواجهة الوجود ، الى تحوير مجـاري الاحساس والتفكير نحو عالم افضل ، ودنيا اجمل ، وبناء اكمل .

ذلك يعني ان شعراء ((الاداب)) في العدد السابق لم يكونوا فـــي قصائدهم تلك ليكتفوا بالتعبير ، وانما تجاوزوا هذه الوظيفة الكلاسيكية المعروفة ، ليلبسوا معاطف القضاة ، وجلابيب الفلاسفة ، ويحاكموا ما يجري داخل الذات وخارجها من أحداث نفسية واجتماعية وكونيـــة وسياسية ، ويدفعوا بالناس اخيرا نحو آفاق تختلف ، وتتصادم ، وتتعارض ، وتتباين ، ولكنها متفقة على شيء واحد ، هو ((التخلص)) من الماضي ، والاندفاع الى الامام :

قصيدة مصر

... ولديّ في ((قصيدة مصر)) لنقولا قربان اول شاهد ومثال ، فهي من شعر المناسبات ، ولكن ما أعظم الفرق بينها وبين تلك القصائد التـي كان يترقبها الناس في أمثالها من المناسبات عهد شوقي وحافظ ومطران والرصافي وبدوي الجبل !

لقد كان هؤلاء الشعراء ينتهزون كل مناسبة وطنية او سياسية –دعك من المناسبات الاجتماعية العادية ! – لنظم القصائد ، وكانوا يبدعون الى حد كبير في بيان الوقائع ، ووصف عواطف الشعب ، واثارة الحماسة في بعض الاحيان ، لا سيما حين يرثون ((مجاهدا)) وطنيا او علما من اعـلام السياسة العربية ، او يتحدثون عن عيد قومي ، او ذكرى واقعة ...

بيد ان نقولا قربان ينقلنا في هذه المناسبة – وهو لم يكن يفكر فيها حين نظم قصيدته – الى تاريخ الشعب ، الى نضاله ، الى عذاب الناس ، كل الناس ، يوم كان الخونة يمكنون الاجانب من أعناق البلاد ، ويحكمونهم في رقاب العباد ، تحت ستار من فلسفة هي الذل ، وهي الهوان ، وهي الشؤم ، فلسفة ((القدر)) .

هنا ... تشعر ان فرحة مصر ، وفرح العالم العربي معها ، في انتصارها على ما كان يُدعى ((قدرا)) ، تحول في احساس الشاعر ، الى تجربة ذاتية .

الشاعر هنا يشعر بالفرح ، وانه لفرحه هو ، يشاركه فيه النـاس مشاركة وجدانية عميقة !! انه يشعر بالفرح ، وكأنه وحده ، رغـم هذه المشاركات المتبادلة في نوع من الاحاسيس ، وأعني به الفرح ، الذي لا يتم الا بالمشاركة !

اقول : كأن نقولا وحده يحس بالفرح ! والحقيقة الشعرية هي أنـه وحده الذي اكتشف ما يكمن وراء انتصار مصر ، من معان فلسفية تمس الوجود العربي مباشرة .

لقد اكتشف نقولا أن تلك الصور البغيضة ، المؤلمة ، القاسية التي كانت تعذبه في سره ، دون ان يشعر به احد ، اخذت تتوارى عن مسرح وجوده ، فتنفس ملء رئتيه ، ولج ((الخلاص)) ، فكانت هذه القصيدة !

وهذه القصيدة معرض صور تتنافى ، وتتقابل ، وتتقارن ، ويحكم مجرد تقابلها ، او مجرد تلاقيها في صفحة واحدة ، على ((المبادىء)) والافكار .

المبادىء التي انتصرت بها مصر ، تعطيك الصور الاولى من تزين بالغار ، وجمع النيل على الكف ، والروضة القمراء ، والمتجر الملآن باللعب ، : والموسم الملآن بالقمح والقصب ، والدبكة ، وهزج الشبان ، والامهات يطرزن العلم ، الخ ...

والمبادىء والافكار التي شقيت بها مصر ، وشقي بها العرب هي التي تعطيك صور : جزمة الطاغي ، والبكاء على الفقير ، والعسكريين الصغار ، والاحتلال الانكليزي في ابشع مظاهره ، و و و ...

يستوقفك من هذه القصيدة ان ناظمها لا يفكر بكلمات ، ولا بانغام ، ولا باستعارات وتشابيه ، وانما يفكر ((بصور)) ، ووراء كل صورة حادث ، ووراء كل حادث فكرة ، ووراء كل فكرة مبدأ او اعتقاد .

ومن الطبيعي لمن كان هذا شأنه ، ان يضعف اهتمامه بموسيقى البيت ، وانطباق الكلمة على قاعدتها اللغوية ، ومدى قربها من العامية ، وبعدها عن الفصحى .

من الطبيعي لمن يفكر بصور ، على طريقة نقولا ، ان يستعمل كلمـة

« جيزان » ، فالشعب يستعملها ، ولها في ذهنه دلالة واضحة ، ولا دخل بعد للمعاجم والقواميس فيما هو بصدده ...

واذا أنت أجلت طرفك في صور هذه القصيدة ، وما « توحي » من احاسيس ، وتوقظ من حماسات ، وتودع النفس من تأثرات ، لم يخالجك شك في ان نقولا يحاول ان « يخلق » اكثر مما يريد ان يعبر :

الارض هذي ارضنا وكل ما فيها لنـــا
حروفها نحن غرسناها هنا
انهارها البكـر لنا والصيف ، والريح،وضوضاءالمطر
وقمحها العسجد والذهب الاسود
والموسم المخزون في ظن القمر

ذلك بأن طاقته على الكلام قوية ، عظيمة ، هائلة ، اصبح معها التعبير شيئا ثانويا الى جانب الغاية الحيوية التي يرمي الى تحقيقها منشعره .

نحن اذن امام شاعر جديد ، يؤمل ان ينتقل بالشعر العربي ، مـن « تعبيرية » قديمة الى ابداعية جديدة . وهذه القصيدة اولى خطواته في هذا السبيل .

الالفاظ

ها هو عبد الصبور يواجه مشكلة الالفاظ من خلال تجربة شعرية ، ويحدثنا في مقطوعته هذه عن أثر الالفاظ في نفسه ، حين تنطق بهــا امراة معينة .

كان شعراء العرب القدامى يأنسون بحديث المراة ، وقد وصفوا أثره في نفوسهم ، بما لم يسبقهم اليه احد ، غير أنهم كانوا يقلدون بعضهم بعضا في هذا الوصف ، ويجمعون على حب ما تقوله المرأة ، واستعـذاب نطقها :

حدثينا واعيدي ما مضى من حديث واحسبي انا نسينا

وشعراء الفرنجة يفتنون الافتنان كله في التحدث عن «جَرْس» المرأة، عن صوتها ، عن طريقة نطقها بالالفاظ .

هذه الموضوعات كلها غير واردة عند عبد الصبور في قصيدته ، فموضوعه قيمة الالفاظ وأثرها ، وثورته ــ وهي ناعمة ! ــ تستهدف الاجوف منها .

لم الاحظ وأنا اقرأ أني اطالع شعرا ، والسبب ــ على ما احسب ــ هذه الاستدراكات ، وما يسبقها ويتبعها من تعميم في الطلب ، وازجاء للنصح ، وتقرير للقواعد :

لكن هذي الالفاظ تهب هبوب الريح على وجهي (استدراك) فالجرح تدغدغه الالفاظ (تعميم) ، وكما أن الشجر الطيب يعطي ثمرا طيبا ، فالانسان الطيب ، لا ينطق الا باللفظ الطيب (تقرير قواعد) فلتقتصدي ! فلتقتصدي في الالفاظ .. الالفاظ الجوفاء (نصيحة) ...

اين نحن هذا كله من الشعر ؟! وأين هي التجربة التي يفصح عنها ؟! وأين هي الموسيقى التي ترافق عرض التجربة ، او الانتقال منها الـى صور جديدة ، او حقائق خفية ؟!

هناك ، كل ما هناك ، حالة غامضة ، غير واضحة في ذهن الشاعر ،مر بها عند سماع بعض الالفاظ ، ولم يستطع ان ينقلها الينا في قصيدته ، ولا استطاعت قصيدته هذه ان تنقلنا اليها ... ولذلك ، فقدت شاعريتها !

ايكون عبد الصبور قد قصد الى اعطائنا جو « الالفاظ » في الفـاظ لاشاعرية وراءها ؟

ربما يخطر لي ان احسن الظن الى هذه الدرجة . ولكن حسن ظني لا يغير الواقع ، ولا يمنح القصيدة ميزة ليست فيها ، وان برر اضطرابها وضعفها ؟!

الى اصدقاء الشمس

سليمان العيسى يخاطب اهل الصين !

تلك هي قصيدته ! والذين يعرفون سليمان ، ويعرفون الصين الجديدة، يدركون ما يقول ، قبل ان يقوله ، حين يشهدونه في موقفه ذاك .

ولكن سليمان وفق الى تصوير انطباعاته عن الشعب الصيني الحديث توفيقا عظيما :

بالروح ابناؤك هل صفتهم جميعهم من نفحات الزهر ؟
يكاد يندى اللفظ في ثغرهم اهوى على الثغر نسيم السحر
الناعمات الدل .. جاراتنا تقدس الدل ، وعاش الخفر
واصدقاء الشمس جيراننا والمبدعو عالمنا المنتظـر

هذا الكلام لا يوفق الى قوله الا كل من تأثر مباشرة بالموصوف .وكم كنت اود ان يفصِّل سليمان ما يحمله ، فالحديث عن « لطف » الصينيين وعذوبة الصينيات جديد ، يحتاج الى اكثر من ابيات معدودات ... ثـم ان الشعور الذي يكمن فيها ينطوي على « مادة شعرية » ضخمة ظهرت معالمها ، واختفى رواؤها ووهجها الاصيل !

والظاهر ان اشتغال ذهن سليمان بتاريخ الصين وحاضرها ، وتعلقه بالامل الذي تبعثه نهضتها ، وانصرافه الى تقرير قيمتها في مستقبـل الحضارة الانسانية ، وبيان تعاطفها مع القومية العربية في بناء هــذا المستقبل ــ ذلك كله صرفه عن تجربته الخاصة ، ليعانق الموضوع الاكبر الذي انتهى اليه .

هذا الاشتغال الذهني ، في عدة موضوعات ، أفضى الى تفكيك وحدة القصيدة ، وحولها الى « خطاب شعري » ، حتى لتحس في ألفاظهـــا ونداءاتها جو المنبر ، واصغاء الحفل ، وارتفاع الايدي بالتصفيق ، فـي زحمة الحماسة ، حماسة الخطيب الشاعر ، وتأثر المستمعين .

عشرون الف قتيل

قدم بلند الحيدري قصيدته هذه بمقدمة نثرية توضح «محتواهــا الشعري » تماما كما كان يفعل عباس محمود العقاد في تقديم قصائده ، وتكون النتيجة ان تظهر المقدمة « أشعر »من القصيدة !

أظن ان اللجوء الى هذا الاسلوب ، يعبر عن شعور الناظم بتقصير شعره عن نثره ، والا فما هي الحاجة الى تقديم قصيدة من ناظمها ؟وما هو المبرر للتعليق عليها من قبيل الصق الناس بها ؟!

ــ ان الشاعر ، حين يفعل ذلك ، يتدخل بين القصيدة وقارئها ،ويمنع العفوية عن تأثره بها ، وحكمه عليها .

والان ... ما هو موضوع القصيدة ؟ أهو موقف المذيع ازاء ما يتـلو من اخبار ؟ ام هو موقف المستمعين الى الاذاعات ؟ أي مذيع ، وأي خبر ، وأي مستمع ؟

هذا كله لا يظهر في القصيدة ! هناك احاسيس محض «ذهنية » ، مبعثرة ، لا تضمها تجربة واحدة ، ولا يقيدها نظام ، ولا تفصح عن شيء واضح .

لقد كان باستطاعة بلند أن يضع مثلا عنوان قصيدته «ضحايــا هيروشيما » أو «قتلى بلا عدد » ، ويمضي في بناء قصيدته الى ان يوضح بالشعر ما قاله في المقدمة ... وبذلك يخلص من كل ما ارتطم به ،ولا يكون في حاجة ... الى « الاعتذار » !

ذوبان الثلوج

هذه مقطوعة احسست فيها بروعة « الصفاء النفسي » ، وعرفت كيف يخلقه الشاعر حين يكون مارا به ، معانيا الاجواء التي تسبقه ، سالكـا

الدروب التي تفضي اليه . وفي هذا وحده ، ما يغني عن بيان الجمالات المنبثة في القصيدة .

الا ان هناك « حرفا » نغتص علي الاستمتاع بروح القصيدة من اولها الى آخرها ، هو هذه « الباء » في آخر بيت :

لن تجـدي كرمتنـا ، جنتـنا
ما دمت معي لست بمـوجود

فهذه الباء ، وصيغة المفعول من « وجد » كلتاهما تعطلان الموسيقى ، وتذهبان بعبقرية « الاحسوسة » الاخيرة ، وان كانا لا يسيئان الى المعنى . فالاحسوسة في البيت شيء ، والمعنى شيء آخر .

ثم لا بد لي من ان اشير الى هذه الناحية وهي أن مجاهد يفكر هنا بأحاسيس على نحو ما يفكر قربان بصور .

أعد قراءة القصيدة ، وتجد أن ذلك صحيح .

الكلمات الرملية

جو هذه المقطوعة كئيب ، وكآبتها ترتدي طابعا موسيقيا يتمثل في تكرار بعض الالفاظ ، وتكرار بعض الصور .

ولا يخرج القارىء من تلاوتها بشيء واضح ، ان في احساسه ، وان في ذهنه ، وكل ما يعلق بخاطره ذلك الجو الكئيب .

الى اللقاء

رائعة هذه القصيدة فيما توحي ، غنية بالعواطف ، مليئة بالعذوبات الدافئة :

يا ويله من لم يحب   كل الزمان حول قلبه شتاء

وسر الروعة فيها انها تنقلك بين مقطع ومقطع ، من الليل الى النهار ، ثم من المدينة الى القرية ، ثم الى ليل المدينة . وهذه الانتقالات يسيرها شعور واحد هو « الخوف من الوداع » ، فأنت منها امام « فلم » تجمع صوره المتناثرة خيوط ، وصلات وصل ، وتنتهي ، كما تبدأ ، عند نقطة واحدة ، من شعور واحد .

يخيل الي ان من يعطي مثل هذه القصيدة ، ينطوي على امكانات شعرية تجعله اذا تحققت في آثار ، من كبار الشعراء العالميين .

دم على البحيرة

قصة صياد قتل ، وهو يبحث عن رزقه !

الموضوع غني ، ولكن الاسلوب الشعري الذي عولج به رده الى حالة من الفقر ليست فيه .

أظن ان الموسيقى التي يميل اليها الشعراء المحدثون ، والتي لا تتقيد في تقاطيعها بشيء من الوزن ، ولا القافية ، حتى ولا ترديد مواقع السكوت ـ اظن انها لا توافق جميع الموضوعات ، ولا تأتلف معها ، ويصبح النثر في مثل هذه الحالة افضل من الشعر .

لو صيغت حكاية هذه القصيدة في اسلوب نثري بسيط ، لامكن الافادة منها في نقلها الى كتب القراءة في المدارس ، والطلاب يشعرون عند ذاك بجمالاتها ، ويفيدون من صورها والوانها .

اما وهذه هي حالها ، فانها لا تبلغ قمة الشعر ، ولا يصح القول عنها انها قطعة بيانية ، والفن لا يعرف « الوسط » . اما ان يكون فنا ، واما ان لا يكون ...

تمثال

هذه الخواطر الشعرية امام تمثال حزين ، تشكو الاضطراب ، ويبدو لي انها اخفقت في كشف ما تريد كشفه .

وسر الاخفاق فيها ان الشاعر « افحم » ذوقه الخاص ، وعاطفته ، واتجاهه ، في تلقي تأثرات طبيعية .

الانسان امام تمثال ما يشعر بمشاعر خاصة ، يتلقى احاسيس معينة تتكون من شخصيته ومن التمثال ، ومن حالته النفسية لحظة التأثر .

واذا كان التمثال قويا في تعبيره لدرجة أنه حين رآه رامي لبابيدي « هاج ادمعا وانتحب لعذابه » ، فهذا يعني ، بما لا يقبل الجدل ، ان التمثال موفق في اداء ما يريد اداءه به . وما الداعي بعد ذلك الى القول :

ليتني حطمت مثالا أقامك   حين عزاك ابتسامك
ثم وشى بالمآسي وجنتيك   ثم اجرى نهر دمع هادر من مقلتيك

هذا تناقض في التأثر ، واضطراب في تلقيه ، وفوضى في التعبير عنه . وفي ظني أن الشاعر هنا كتب القسم الاول من قصيدته في اسبوع ، والقسم الثاني كتبه في اسبوع آخر ، فجاءت القصيدة متعارضة في بيان ما تريد تبيانه .

ولا اريد ان اختم كلامي حول هذه القصيدة قبل ان ابين عدم اهتمام الشاعر بمعاني الكلمات ، فنهر الدمع لا يكون « هادرا » ، ومن تمثال صامت ...

عبد اللطيف شراره

الأبحاث

بقلم حافظ الجمالي

خواطر عربية امام القمر الجديد

لرئيف الخوري

هذا المقال هو من وحي الحوادث : من وحي القمرين الصناعيين اللذين أطلقهما الاتحاد السوفييتي ، واللذين كانا حديث العالم كله ، وجعلا الولايات المتحدة ، في نظرها وفي نظر الناس جميعا ، واضحة التخلف في الميدان العلمي ، بادية القصور عن اللحاق بالركب السوفييتي .

والسؤال الان هو : هل في هذا التفوق العلمي من جانب ضد آخر ما يوحي بأن الحرب القادمة اصبحت وشيكة الوقوع ؟ وجواب الاستاذ الخوري هو أن هذه الحرب اصبحت بعيدة جدا ، لان الطرفين يدركان ان مثل هذه الحرب ستجر الدمار على الانسانية كلها . ولذلك تشتبك الحرب الباردة لتكون بمثابة تعويض عن الحرب الحارة .

وبلغة اخرى ان كلا من الفريقين لا يدري ما اذا كانت قوته اكبر من قوة خصمه او اضعف ، ولكن كلا منهما يدرك ، مع ذلك ، أن ما لدى الاخر كاف لسحقه وتدمير ارضه ، وجعل الحرب مغامرة لا يقدم عليها الا مجنون مخبول ، لا عاقل مسؤول .

ومع ذلك فان روسيا منتصرة بغير حرب ، انها تعين الشعوب المضطهدة على استرجاع حقوقها ، واسترداد كرامتها . وفي هذا وحده ما يجعلها ظافرة على خصومها ، ذلك ان قلوب الشعوب المظلومة كلها معها ، فلا عليها ان خسرت عطف المسؤولين في بعض الدول الغربية ، او بعض من يؤيدهم من طبقات شعوبهم .

واذن فما على الولايات المتحدة الا ان تكف عن تشجيع عناصر الانقلاب والرجعية ، وعمال الفتنة ، وان تقنع الفرنسيين بضرورة ترك الجزائر للجزائريين ، والاسرائيليين بضرورة الحد من اطماعهم . وتركيا بوجوب عدم تحريك ذنبها . ثم ان عليها ان تمنح المساعدات المالية والاقتصادية

خالصة من القيود السياسية .

تلك هي خلاصة المقال . وهي طويلة . واليك الان بعض الملاحظات:

أما ان الحرب العالمية مستبعدة الوقوع ، في ظروف التسلح الحالية فذلك رأي قديم . وقد سبق لوزير خارجية سورية الاستاذ صلاح الدين البيطار ان اعلن عن مثل هذا الرأي في محاضرة رائعة ألقيت في النادي العربي بدمشق منذ اكثر من سنتين . وأظن ان كل من يستطيع ان يفكر قليلا في هذا الموضوع ، ينتهي حتما الى مثل هذه النتيجة . وأتساءل الان ما هي الفائدة من العودة الى موضوع مقرر معروف ؟

الواقع ان المسألة الهامة هنا ليست في التساؤل عن الحرب العالمية الممكنة الوقوع ، أو غير الممكنة الوقوع . ولكن المسألة الهامة هي في التساؤل عما اذا كانت الحرب الموضعية (في سورية مثلا او في نقطة اخرى) يمكن ان تجر الى حرب عالمية ، أو لا ؟ وهذا السؤال هو الشيء الهام في ظروفنا هذه ، وهو الذي يستحق البحث والتمحيص ، ولست ادري كيف استساغ الاستاذ الخوري الذهول عنه ؟

وسؤال آخر يمكن ان يستحق البحث : ان هذه الحرب الباردة تكاد تكون تجميدا للاوضاع السائدة في كل مكان . وفي سورية حيث تتخذ الحرب الباردة شكلا حارا جدا ، لا نستطيع القول الا انها تجعل خطى التطور وئيدة جدا ، أفيكون التطور السياسي والاجتماعي للبلاد القليلة التطور مرهونا بهذه الحرب ، الى الابد ، ام انه سيتجاوزها ، ويتم رغما عنها ، وتصبح القوى الرجعية مجرد كلمة نقولها ، ونذكر عهودها ، دون ان نلاحظ لها أية فعالية او تأثير في مجرى تطور الشعوب في الحاضر والمستقبل ؟ بل او لا يمكن افتراض أن القوى الرجعية سوف تنشأ من داخل القوى التقدمية ؟

لست ادري لم أحب ان يعالج كل مقال ينشر في الصحف والمجلات ، مشكلة حية خطيرة ، ولا يرضيني ان يكون مجرد عودة الى الحقائق المعروفة ، والآراء المألوفة

العرب والشيوعية في عهد جديد

للدكتور عبد السلام العجيلي

بين العرب والشيوعية تاريخ : لقد كنا نحن العرب نكره الشيوعية لكونها تتنكر للقيم القومية اولا ، وللقيم الدينية ثانيا . وذلك أن هذه القيم عزيزة علينا ، ولا نستطيع ان نتقبل أي مبدأ من المباديء اذا لم يكن فيه نوع من الضمانات لهذه القيم . أما وأن العالم الشيوعي أصبح يهادن هذه القيم ، ولا يتعرض لها تعرضا سافرا ، ويقف من قضايانا موقف المؤيد والمناصر ، ويربط ، الى حد ما ، قدره بقدرنا ، ويبدي كل استعداد لجعل اي عدوان علينا ، بداية لحرب عالمية لا تبقي ولا تذر ، فقد أصبحنا حتما نميل الى جانبه ، ونتقبل صداقته ، ونزيد من أواصر التعاون معه .

ومن ناحية اخرى : نحن بين معسكرين : يهدد الغربي منهما وجودنا نفسه ، بفرسه اسرائيل في ارضنا ، وقد يهدد الثاني حريتنا ، عن طريق تغلغل نفوذه المعنوي بيننا . أفلا يكون من الافضل والاقرب الى المعقول أن نرجح الخطر الاصغر على الخطر الاكبر ، اي خطر ضياع الحرية على خطر ضياع الوجود ؟

تلك هي خلاصة الموضوع الممتع الذي يعالجه الدكتور العجيلي ، بأسلوبه الناعم المشرق ، الرصين ، ومنطقه الحي ، الصافي ، المتين . ولا أظنني أبالغ في شيء او في آخر ، عندما اقول ان هذا الموضوع جاء في وقته ، وكان لا بد من أن تعالجه اقلام الكتاب والمفكرين. وأحسب أن الدكتور العجيلي هو أول من طرح على نفسه هذه المشكلة ، وحاول بحثها بين كتابنا المعروفين . ومن حسن الحظ ان بحثه لا يستحق مني غير التهنئة على كل ما فيه . ومع ذلك فان لي ملاحظة واحدة : هي أنه كان يحسن بالدكتور العجيلي وبكل من يكتب موضوعا ما ان يردنا دوما الى المصادر التي استمد منها معلوماته . ذلك ان قضية لازار كاغانوفيتش وستالين مسألة توضع صحتها موضع البحث ... فهل يعتقد الدكتور العجيلي أنها صحيحة كل الصحة ؟

شعر نزار قباني ، وثيقة اجتماعية هامة

بقلم سلمى الخضراء الجيوسي

سأمر سريعا بهذا المقال ، ذلك أن نقده والتحقيق فيه ليس من شأني . ومع ذلك فانه يطيب لي ان أزجي الى صاحبة هذا المقال كل عواطف الاعجاب والتقدير ، ذلك أن في اسلوبها مرونة قوية ، وفي تحليلاتها الادبية والنفسية ، صدقا كبيرا

بقي ان لا يفرح شاعرنا نزار كثيرا بما يكتب عنه ، فلقد يغريه ذلك بالنوم على مجده التليد ، بالرغم من ان الحرف جزء من حياته ، وان من الامنيات الغالية أن يبقى هذا الجزء عزيزا جدا عليه .

نحو تجربة قومية

بقلم مطاع صفدي

أما هنا فأحب ان اطيل : ان هذا المقال بأسلوبه يقلقني حقا . أهو قطعة من كتاب « الوجود والعدم » لسارتر ، ام هو بعض صفحات من كتاب « فينومنولوجية الادراك » لميرلو بونتي . أم هو بعض ما تكتبه سيمون دو بوفوار في غير رواياتها المسرحية ؟

وحقا اريد ان اطرح هذا السؤال : ما الذي تفيده قضايانا القومية من معالجتها بمثل هذا الاسلوب ؟ اتزداد بذلك وضوحا ؟ لا . انها تزداد بذلك غموضا . أم تستطيع ان تستهوي من ينفر منها ، فتجعله يقبل عليها ؟ وأيضا ، لا ، هذه المرة . ذلك ان من يشعر أن عليه ان يقرأ مثل هذا ليخدم الوطن ، والقضايا القومية ، سوف يشعر حتما بثقل العبء القومي عليه . وحقا ايضا ، لو أن الرائد الاول للبعث العربي كان يكتب بمثل هذا الاسلوب ، لعز كثيرا ان يوجد شيء الان ، اسمه «البعث العربي » .

فلم يبق اذن الا ان يكون مثل هذا الاسلوب متعة في ذاته ، واذن فهو وصف المستريح ، لتجربة قومية يعانيها غيره .

فاذا صح مثل هذا الظن ، فاني أجدني مسوقا بالضرورة الى تشديد اللوم على صاحب هذا المقال ، في اسلوبه ، اذ لعلني اجد أن من الافضل ان أسأله الرفق بالناس ، وبمن يقرأون ، أو على الاقل ، رفقا بالقوارير ، فهن مناضلات ايضا ، ويستطعن في النضال الشيء الكثير .

ولا يعني ذلك بأية حال أني غير معجب بالاسلوب ، أو أني لا أمنحه قيمة عالية ، ولكني اجد أن في وسعنا ، أن نكون ابسط لغة ، وأقرب الى الناس فيما نقول ، اما اذا كنا نبتغي أن لا يقرأ ما نكتب الا قلة مختارة، فذلك ما يجعلني أعلن أن هذه الفئة المختارة ليست في حاجة حقيقية الى مثل هذه المطالعات .

واذا تركنا الاسلوب ، وجئنا الى المحتوى ، او المضمون ، لم نجده يخلو من انواع التناقضات الظاهرة . واليك هذا المثل :يقول الاستاذ الصفدي :

« ان من صفات التجربة القومية ان نضج عناصرها الواقعية هو الذي يجعل هذه العناصر ذاتها تشقى بما فيها من معنى ، بحركة استنباطية

تكشف حقيقتها .

ثم يضيف قائلا :

« ولكن نضج هذه العناصر يحتاج بدوره الى مقياس سابق عليه . »

وليسمح لي الاستاذ صفدي بالقول : ان في مثل هذه الجمل تناقضا بارزا . ان التجربة (قومية او غير قومية) من عالم الحدس ،والاستنباط من عالم الاستدلال المقابل للحدس . فكيف تكون التجربة (الحدسية بالتعريف) ، استنباطية المقاييس ؟

ثم ليسمح لي الاستاذ صفدي بأن ارده الى نظريات التجربة الخلقية، كنظريات برغسون ، ورده ، وبلوندل بصورة خاصة ، ففيها ما يشير بوضوح الى ان مقاييس العمل الخلقي ، تنبع من العمل الخلقي نفسه ، ولا يمكن ان تستشف بصورة سابقة عليه ، فاذا صحت مثل هـــذه النظريات ، فانه يكون الاستاذ صفدي صاحب نظرية جديدة تضاف اليها، وتحمل بين النظرية وطباقها ، هيجليا ، في تركيب جـديد . أفيكـون الاستاذ صفدي في مثل هذه الهيجيلية الطريفة ؟

والاغرب من ذلك ان يأتي في المقال بعد الجمل السابقة ، هذهالجمل المكملة :

« ان هذا المقياس في الواقع هو الذي يؤلف المشكلة الحقيقية في فهمنا للتجربة القومية ... ولكن لنبين ان هـذا المقيـاس ليس شيئـا متعاليا عن التجربة ذاتها ، وليس هو ابدا من مستوى المنطق العقلـي الصرف .. »

ومرة اخرى ، لنبارك هذه الهيجلية ــ البرغسونية ــ البلوندلية ــ الجديدة ، ذلك ان من السهل ان نثبت شيئا مرة ، ثم نعود فننفيه ، ثم نعود مرة اخرى فنؤكده ، وذلك الى ما لانهاية ... ولكن ماذا نريد من وراء ذلك كله؟

وهاك مثلا آخر ، في نص جديد :

يقول الكاتب « كان مقياس الاصالة ، مقياس تمثل الفرد للتجربة القومية عند جاهليتنا ، واضحا شخصيا في الابعاد اليومية لحياته . بل كـانت التربية نوعا من التلقي الطيب لنزوع الذات ولتجسيم الجماعة لهذا النّزوع ، ضمن نموذج من الوجود . » ومعنى ذلك باللغة العادية ان التربية العربية القديمة كانت تستجيب افضل استجابة ممكنة لنـزوع الفرد .

الا انه يضيف بعد ذلك قوله :

كان في هذه التجربة « بذرة للقلق فيها نوع من التوثب الذي يحرق نفسه في سبيل متابعة الطريق ... »

ثم يضيف : « كانت السماء هي الطرف المفقود من التجربة العربية » .

فاعجب ، ما شئت ان تعجب ، لتربية تستجيب اتم استجابة لنزوع الفرد الطبيعي ، ثم يكون فيها طرف ناقص ، هو (السماء) ... وليس ذلك طبعا بالكثير !!

واذا كان لا بد من تعليق اخير على هذا المقال ، فهو ولا شك اعجاب بالقدرة الفنية التي يملكها الاستاذ صفدي بالتعبير والتحليل معا .

مسؤولية القارىء

بقلم محي الدين محمد

لم يبق لنا بعد هذا المقال الا مسؤولية واحدة ، هي مسؤولية العالم نفسه ، وأعني العالم المادي كله . فلقد كنا قبله امام مسؤوليةالكاتب. وكنا نريده على الالتزام ، اعني ان تكون له قضية ، او مثل أعلى ، او مطمح جدي ، يكتب من اجلها او من اجله ، ولا يكون أدبه مجـــرد تسلية او عبث ، كل همه ان يؤثر في الاخرين ، أو ان يحملهم علـــى الانفعال ، على مجرد الانفعال العاطفي . أما الان فان على القارىء ايضا ان يكون ملتزما . عليه ان يهيىء نفسه لتقبل مسؤولية ما يقرأ ، وتنسيق ما يجب ان ينسق من نفسه ، ومبادئه ، وسلوكه ، على ضوء ما يقدمه له الكاتب الملتزم .

« ان القارىء الحديث ليس هو الذي يختار الظل الرحب لسنديانة ضخمة ليمضي فترة الظهيرة في قراءة يقطع اوصالها الوسن ... او ذلك الذي يقرأ لانه لا يعرف ما الذي يفعله غير ذلك . »

بل هو : « ذاك الذي ادرك أن الكاتب هو وعي اخلاقه هو وأنه بذاته فعل وعي الكاتب ، لا اقل ، ولا اكثر ... » .

ولكن أبقي بعد ذلك الا أن يلتزم العالم المادي والاقتصاديوالاجتماعي جملة ، مثل التزامنا ، وأن ينحني بخضوع لارادتنا ، وتأثيرنا ، وفعلنا ، فيكون هو بدوره اخلاقيا ؟

اما انا فأصدق مثل هذا المذهب ، وأؤيده ، وأدعو اليه ، ولكن أترى الاخرين يصدقون معي ، ويؤيدون ، ويدعون ؟ وكيف السبيل الى جعلهم كذلك ، ان لم يريدوا ، طوعا ، ان يكونوه ؟

أظن ان كل المشكلة هنا ، ليست في شيء آخر . انهـا مشـــكلة تربوية ... فلنذهب اذن الى المدرسة .

دمشق — **حافظ الجمالي**

القصص

بقلم صدقي اسماعيل

ليس للقصة شكل محدود ولا اسلوب معين ، انها كالحياة تسلك جميع السبل ، وتتذرع بشتى الاساليب . والذين يحاولون ان يضعوا قواعـد معينة لفن القصة يشبهون المتزمتين الذين يريدون ان تسير الحياة في مجرى واحد صارم الحدود . ولا يكفي ان يكون لكل قصصي اسلوب متميز ينم عن شخصيته ، بل يجب ان يكون لكل قصة طابع جديد واسلوب خاص يعبر عن التجربة الفنية التي املت القصة عليه . فقيمة الموهبة الفنية ترجع الى مقدار ما تتعدد فيها سبل الاداء وتتصف بالغنى والخصب .

١ ـ تأملات ديكارتية

او ((المدخل الى الفينومينولوجيا))

٢ ـ الفلسفة الوجودية

ترجمة : تيسير شيخ الارض

الناشر : دار بيروت

وهذا ما يجعل نقد القصة صعبا الى أبعد حد . غير أنه لا يعني فقدان المقاييس في فن القصة . فهناك اشياء بديهية يمكن ان تعتبر نقطة البداية في كل قصة جيدة ، وهي التي تسهل النظر الى القصة العربية المعاصرة بصورة خاصة ، لان فن القصة العربية ما يزال في بدايته ، احوج ما يكون الى هذه الامور البديهية :

فالقصة اولا هي شيء جدير بأن يكتب ويروى ، ومهما يكن الموضوع الذي يتناوله القصصي بسيطا تافها ، فان مجرد اختياره يعني انه ذو اهمية ، ويكفي انه كان موضوع تجربة فنية بالنسبة للكاتب على الاقل . وبهذا المعنى فان كل قصة تحمل طابع الجدة كل حين . فالجديد وحده هو الجدير بأن يكتب ويقرأ . الموضوع الجديد او الاحساس الجديد او السرد الجديد .. لا فرق .

والقصة ثانيا هي تجربة انسانية حية ، ولذلك فانها تحمل طابع الحياة وحرارتها . والحياة في سيرها اليومي ، بسيطة عفوية ، تجري فيها الحوادث والاشياء في سلاسة بريئة . وكاتب القصة القصيرة – خاصة – مطالب بالبساطة والسلاسة . بيد ان ما يراه المتأمل من فرجة الباب ، جانب من الحياة يمكن ان يحمل بحركته العفوية واشيائه كل ما في الحياة من حرارة .

والقصة ثالثا هي فن . انها ترتبط بالاحساس البديعي وتتوجه الى تحقيق الجمال وبعث الغبطة الفنية في نفس القارىء . وليس القاص مؤرخا ولا عالما ، ولا هو بالصحفي الذي يسرد الاحداث في براعة ، بل انه فنان يستخدم الحياة والعبارة في سبيل الوصول الى الشيء الجميل ...

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تلفون ٢٧٦٨٢ – ص.ب ٦٥٦

الاصول التاريخية	مجلد ٢ كامل
التعايش السلمي	جليل قسطو
المقاومة السرية	كامل الشريف
أزيلوا اسرائيل	الين بتيل
نوافذ على الشرق والغرب	جوزف باسيلا
التربية ثورة وتحرر	واصف بارودي
القومية والانسانية	كمال يوسف الحاج
رسالة الوداع	محمد فتح الله
درب الهوى	اسعد سابا
السنة الزمان	سليم حيدر

على ضوء هذه النقاط البديهية ، يمكن ان ننظر الى القصة ونحكم عليها ، ليس كناقدين فحسب ، بل كقراء عاديين لهم مشاعرهم وتجاربهم الخاصة ، ويستطيعون ان يحكموا على الاثر الفني بمقدار ما يمنحهم من احساس عميق ويفتح عيونهم على آفاق جديدة في الحياة الانسانيـــة . ان الجمهور هو اصدق ناقد في القصة لانه اقرب الى الحياة – التي تستمد منها القصة حرارتها وقوتها .

ومن خلال هذا ، نستطيع ان نتناول القصص الاربع التي نشرت في العدد الماضي من الاداب ، بشيء من النقد ، وببعض الملاحظات ..

تجربة مع الموت – لمحمد ابو المعاطي ابو النجا

كان يتصور الحرب او الموت في الحرب على نحو معين ثم فاجأته التجربة بحقيقة الموت ، بحقيقة مخيفة تختلف كل الاختلاف عما كـــان يتصور . ذلك هو المحور الذي تدور حوله قصة « تجربة مع الموت ». ربما كان كاتبها محمد ابو المعاطي ابو النجا ، يريد شيئا آخر ، ان يروي مثلا تجربة شخصية عن الحرب والموت ، وفي ذلك ما يثير الاهتمام ، لان الكاتب على ما يبدو قد اشترك فعلا في معركة بور سعيد ، المعركة التي هزت وجداننا القومي في الاعماق . ومن الرائع ان نرى شيئا منهـا في تجربة فنان يحاول ان يوقظ حسنا البديعي كافراد تعيش في ضمائرهم قضية الانسان ويعنيهم مصيره . غير ان القصة ، مع الاسف ، لم تكن ، كما اراد الكاتب ، تجربة مع الموت ، بل مجموعة من الافكار والمشاعر حول التبدل الذي يطرأ على الانسان امام مثل هذه التجربة . وقد الح الكاتب نفسه على ذلك ، بعشرات الجمل التي نثرها في هذه القصة القصيرة ، وكأنه يريد ان يؤكد لنا ان تجربة الموت تحول الانسان وتبدله « ولكن الاحداث كانت تتطور بأسرع مما كنت اتصور ... نحن شعب في حاجة الى ان يخوض هذه التجربة. فالشخص الذي يحمل البندقية ويأتي الى هنا ليواجه الموت يتبدل شخصا آخر تماما ... ان الذين يعودون من الحرب غالبا ما يبدأون حياة جديدة ... وتحولت الى لاشيء ... كنت اكتشف باستمرار انني ... كنت قبل لحظة احس بأنني تحولت الى جزء من هذه الكتلة البشرية التي يجسدها الخوف .. انني اختلف تماما عن الشخص الذي خاض معركة امس والذي قبله ... كنت اشعر انني مختلف تماما عن الشخص الذي كنت اتذكره (يعني نفسه بالامس) .. ماذا حدث لي ؟ لم اكن اتصور انه من الممكن ان تتغير مشاعر الانسان ... كنت اشعر انني اتحول الى هذا الشخص الاخر... سوف يخرج الانكليز من بور سعيد. بدأت اشعر ان هذه القضية حقيقية تماما .. اما انا فقد كنت اشعر انني اتحول الى شخص آخر تماما ... لم اكن اتصور ان ... الخ الخ .. »

وموضوع التحول هذا الذي تدور حوله قصة بصورة عامة ، ليس شيئا جديدا . فالانسان يتبدل في التجارب العادية ، ومن البديهي ان تجعله الحرب والموت انسانا آخر .. ان الالحاح على هذه الفكرة قد افسد القصة الى ابعد حد واساء الى كونها قصة قصيرة بالمعنى الصحيح. وكان من الافضل ان يلجأ الكاتب مباشرة الى تصوير هذا التحول لانه وحده يمثل التجربة . وبمثل هذا الالحاح اشتملت القصة على شيء آخر يعتبر دخيلا الى اقصى الحدود ، هو الافكار التي كان يستنتجها بين حين وآخر ، ويثبتها خلال التعبير عن مشاعره ، وكأنها حقائق ثابتة تلخص كل شيء . فقد ختمت القصة وتوجت بفكرة عامة من هذا النوع : « هناك في الحياة اشياء كثيرة يمكن ان نحددها وان نؤكد موقفنا حيالها . فبمقدور انسان ما ان ... الخ » وقلما يخلو مقطع في القصة من افكار

مماثلة : « لا ريب انه من المفزع ان يواجه الانسان الموت وهو عاجز عن الحركة ... انه من المخيف جدا ان يشعر الانسان انه لم يعد متأكدا من شيء .. يا له من مخلوق ذلك الانسان : لا يكتشف قواه الكامنة الا من خلال بعض الاحداث والمواقف ... الخ .. »

مثل هذه الخواطر ، قد تتسع لها الرواية . اما في القصة القصيرة فانها تسيء الى طبيعتها وتحجب ما فيها من بساطة وحرارة . والواقع أن هذه القصة نفسها اشبه ما تكون بفصل من رواية ، فصل خاص عن خواطر بطلها واضطراب مشاعره . وقد كتبت القصة على ما يبدو بروح روائية . فاشخاصها يتجاوزون الخمسة ، وقد تتبع الكاتب كلا منهم ، وكشف عن شيء من ماضيه لكي يعطينا صورة كاملة عـن شخصيته . صبري : الصديق المؤمن بالكفاح ، وجلال : المنقذ الذي يشتغل صيادا ويجمع المال لكي يتزوج سعدية بنت المعلم حسنين ، واخوه حسن الصبي الشجاع الذي ينقل الذخيرة الى رجال المقاومة . واخيرا بطل القصة الذي يخوض تجربة الموت ، وتتنازعه في الواقع تجارب شتى : التحول ، الحرب ، الخوف ، الموت ، الجوع ... ولا ينسى ان يقحم امه المؤمنة وطرحة الصلاة البيضاء في هذا الموكب المزدحم من الاحاسيس والناس والاشياء .

ولكن على الرغم من هذا كله ، فان محمد ابو النجا يملك موهبة قصصية واضحة ، تنم عنها عبارته السلسة وقدرته على التعبير عن احساسه بالاشياء . وكم يحسن صنعا اذا استطاع ان يبعد الطابع الفكري عن قصصه ، ويتناول الحياة كما هي في بساطتها وعفويتها ، فالمواقف الانسانية والاعمال والاشياء تتكلم عن تجربة الفنان الحسية بلغة ابلغ واقوى من جميع النظريات والافكار ...

النزعة الخيرة ــ لفاضل السباعي

حكاية قديمة ــ كما قال كاتبها ــ مستوحاة من العدوان الثلاثي على مصر . والواقع انها قصة العدوان نفسها كتبت بشكل رمزي تعليمي ، وباسلوب « انشائي » متكلف ، وقد نقل فيها الكاتب حوادث القناة الى ضيعة صغيرة ، لكي يسهل على الصغار فهمها ومعرفة مغزاها .والحقيقة انه بعث فيها الغموض والاضطراب . ان حادثة تاريخية فذة كحادثة القناة هي في شكلها الصريح أقوى وأعمق من كل رمز . ولا عذر للكاتب انهـا للصغار ــ كما جاء في بدايتها ــ فالصغار يفهمون الوقائع العارية ويتعلمون منها اكثر مما يفهمون الرموز ...

الموجة الاولى ــ الوحيد النقاش

قصة الحب الاول ، في رسالة ، وللحب الاول قصة عند كل انسان ، غير ان الكاتب مطالب بأن يسبغ على هذه القصة شيئا من الطابع الفني ، يجعلها جديرة بأن تروى ، والا كانت القصة تكرارا مملا لما يتحدث به الجميع عن حبهم الاول :

« ــ ألم تنم طوال الليل ؟

« كلا . وانت ؟

« ــ ولا انا

ــ لماذا

ــ كنت قلقة

ــ وهذا ما جاء بك مبكرة الى هنا ؟

ــ نعم ، وانت ايضا ، أليس كذلك ؟

ــ وانا أيضا ... »

الى آخر هذا الشريط المعاد ...

غير ان كاتب هذه القصة اراد ان يضيف شيئاً جديداً ، هو حاجته الى الحنان ، ولعله ان يكون لهذا السبب قد اقحم في قصة حبه وجه امه الشاحب ومرضها الحزين ، كما اقحم في بداية القصة تحليلا لنفسيته قبل الحب ، ولحالة اصدقائه : « بعضهم ارتمى في حضن فكرة ،وبعضهم لجأ الى العمل والنضال دون ان يدفعه لذلك ايمان واضح ... الخ » . اما هو فقد اختار الحب . ولكنه لم يخلص لهذا الاختيار ــ على ما يبدو ــ فقد كان يغنيه عن جميع هذه التحليلات الدخيلة في القصة ، ان يمنحنا صورة فنية بسيطة عن حبه هذا . ان يقتصر مثلا على الرسالة العاطفية التي اراد ان يختم بها الموجة الاولى . ولو انها لم تتجاوز الصفحة .

الشيخ والطفلة ــ لخضر نبوه

نزاع في «الاوتوبيس» حول طفلة . ذهبت الام الى السوق وعهدت بطفلتها لشيخ من الركاب له حفيدة في البرازيل تشبه الطفلة . وحدث ان جاء الاب فرأى طفلته في احضان الشيخ الغريب واراد اخذها فرفض الشيخ تسليمها الا للام . وكان النزاع . وعندما عادت الام ردت الطفلة . « وحينما كانت الام تسأل زوجها عن سر عودته كان الشيخ قد انسل في هدوء وجلس في احد المقاعد الخلفية .. ولم يلحظ عليه احد .. انه كان يبكي . »

قصة اقرب الى نكتة عادية عابرة . ولكن الكاتب اصر على ان يكتب فيها اربع صفحات كبيرة من « الاداب » ، يتحدث فيها عن مشاكل الاب والام والشيخ وسوق الدلالين الصاخب ، وامرأة هزيلة واخرى سمينة كانتا في السيارة الكبيرة ، وبائع « البوظة » و ... كل ذلك بالتفاصيل الدقيقة المألوفة والتعابير المحلية « العامية » احيانا ... اما العرض فهو اشبه بخيط متكسر ، لكل جزء فيه اتجاه مستقل ..

ليت كاتب هذه القصة يقتني مجموعة لاقاصيص «و . هنري » لكي يرى كيف تعرض حوادث الشارع في رشاقة وبساطة وجمال ..

دمشق صدقي اسماعيل

رئيف خوري

في بعض آثاره الادبية

١ ــ صحون ملونة (مسرحيات صغيرة)
٢ ــ الحب اقوى (رواية من تاريخ العرب)
٣ ــ الفكر العربي الحديث (دراسة ونصوص)

صدرت عن دار المكشوف ، بيروت